الأعمال الكاملة للأديب الأردني فخري قعوار:

خاض في بحور النثر كلها وأخلص للقصة القصيرة وهموم الناس

عمان ـ «القدس العربي»
ـ من يحيى القيسي:

بالتعاون بين البنك الأهلي الأردني ودار ورد للنشر والتوزيع في عمان صدرت الأعمال الأدبية الكاملة للقاص فخري قعوار، وهي تعكس حصيلة تجربته الإبداعية خلال ما يقارب من 35 عاما، وقد جاءت في مجلد يضم 580 صفحة، وكتب مقدمة تحليلية نقدية لها الناقد والأكاديمي د. نبيل حداد أستاذ النثر العربي الحديث في جامعة اليرموك، كما كتب فخري ملامح من تجربته كان قد ضمها في كتابه «ليالي الأنس» وهي أيضا محاضرة قدمها في الجامعة الأردنية 1989، ولعله من الضروري الإشارة هنا إلى أن قعوار يعد من أبرز القصاصين الأردنيين والعرب، وقد بدأت ملامح تجربته تتشكل خلال نهاية الستينيات وظهرت بقوة بداية السبعينيات، وقد أخلص للقصة القصيرة وتميز بها واختار الواقعية الاشتراكية كملمح أسلوبي بارز في سرده اضافة إلى أساليب أخرى تناولها النقاد بالتحليل والإضاءة، كما كتب المقالة الصحافية، وما يزال في الصحافة الأردنية، وهو اليوم أحد أعمدة «الرأي» اليومية، إضافة إلى انشغاله لفترة غير قليلة بالجانب الثقافي الإداري إذ ترأس رابطة الكتاب الأردنيين لدورات عديدة، كما ترأس اتحاد الكتاب والأدباء العرب لدورتين، وكان عضوا في البرلمان الأردني، وقعوار معروف في دفاعه عن القضايا الوطنية والقومية، ويخصص جل مقالاته لمناقشة الشأن المحلي أيضا، كما أنه نشيط في المجال النقابي الثقافي.

أما إصداراته فقد تجاوزت العشرين كتابا في القصة القصيرة والمقالات السياسية وقصص الأطفال والترجمات وهي:

«ثلاثة أصوات» مجموعة قصصية مشتركة 1972، «لماذا بكت سوزي كثيرا؟» 1973 ـ قصص، «ممنوع لعب الشطرنج» قصص 1976، «السلحفاة والأطفال» مجموعة قصص مترجمة 1979، «من الفراشة الملونة إلى الطيور المهاجرة» قصص للأطفال 1980، «أنا البطريرك» قصص 1981، «البرميل» قصص 1982، «يوميات فرحان فرح سعيد» 1982، «وطن العصافير» مسرحية من فصل واحد 1983، «أوراق في الفن» مقالات 1985، «أيوب الفلسطيني» قصص 1989، «ليالي الأنس» في تجربة الكاتب القصصية 1990، «حديث مع أميمة» في أدب الأطفال الشعبي الأردني 1991، «حلم حارس ليلي» قصص 1993، «مراسيم جنازتي» مجموعة كتابات ساخرة 1994، «رجل وامرأة» قصص مترجمة 1996، «درب الحبيب» قصص 1996، «عنبر الطرشان» رواية 1996، «شجرة الورد» حكايات من قلب عمان 1997، «لحن الرجوع الأخير» كتابات ساخرة 1998، «الأعمال القصصية» مجلد 2003، «الديك والدجاجة» مقالات حول المرأة 2005، «بستان صاحبة الجلالة» مقالات ومحاضرات ـ 2006

د. حداد: السخرية ملمح أساسي

في مقدمته التحليلية المطولة أشار الناقد والأكاديمي د.نبيل حداد إلى خصوصية أسلوب فخري وجماهيرية أدبه ولغته وانشغالاته المتنوعة بين القصة والمقالة والكتابة للأطفال وهنا بعض المقتطفات من هذه المقدمة:

«خاض فخري كما هو معروف في بحور النثر كلها، ولكن مرفأه الأثير ظل القصة القصيرة، ولعل هذا يسمح لنا بالتحرك نحو فن خاص (ملحق) بهذا اللون الإبداعي، إنه أدب الأطفال، حكاية ومسرحية، ليس ثمة ضرورة في هذا الموضوع لتقديم رأي نقدي أو تقديم موضوعي لهذا الجانب الإبداعي عند أديبنا، بل تكفي الإشارة إلى أن هذا الخوض بل النزول إلى عالم الطفل ببصمات واضحة من مثل «وطن العصافير»

و«السلحفاة والأطفال» و«من الفراشة الملونة إلى الطيور المهاجرة ينطوي على مؤشر مهم وسم مسيرة فخري وهو شمولية النتاج، ولا نزعم أن هذا انجاز في ذاته إلا إذا أخذنا في الاعتبار اكمال العمل، أي عمل لعناصره الفنية سواء كان مقدما للصغار أو الكبار، للنخبة أو الجميع، وما قدمه فخري قعوار في هذا الحقل يعد علامة مضيئة في مسيرة أدب الأطفال في الأردن.

تتحلى جماهيرية أدب فخري في لغة ما يكتب. إنها لغة الشعب ولئن مالت لغته نحو الأداء المحكي في العديد من التراكيب والتعبيرات والمفردات فإن الأمر لم يصل إلا في القليل النادر إلى درجة العامية الصرفة، مع أنني من أولئك الذين لا يرون غضاضة في استعمال العامية في الحوار ما دام الناس يتحدثون بها، وما دام الناس يتحدثون بها، وما دامت العامية في الحوار أقدر من التركيب الرسمي في اللغة على استحضار الأداء النفسي للمتحدث، بيد أن المسألة تأخذ في الدارج والمحكي عند فخري أبعادا أخرى، ترتبط بتنوع نتاجه وتنقله بين العديد من الأشكال النثرية، كما ترتبط بطبيعة نشاطه العملي الذي لا ينفصل عن نشاطه الكتابي، وكذلك بطبيعة موقفه الفكري الذي يصدر عنه في عمله وكتاباته ـ لا فرق ـ أعني كونه وأدبه صاحب موقف وحامل رسالة، ولعل هذه الأبعاد تتجلى بأنصع صورها في أدب صاحبنا في كتابه أو روايته «عنبر الطرشان»، وهل نغامر كثيرا إذا عددنا «عنبر الطرشان» لونا من مقامات أيامنا استمد أطيافه من ألوان الواقع الأسري والإداري والسياسي والاقتصادي في نهايات القرن العشرين ؟

عنوان رئيسي آخر لأديبنا: إنه كاتب مقالة من طراز خاص بل قل إنه كاتب الشأن المحلي الأول في الصحافة الأردنية على مدار ثلاثين عاما وبامتياز، ويا لها من إمكانات خلاقةتلك التي يلج بها فخري للشأن المحلي وتتدعم مع الأيام.ما أجمل أن يستند صاحب القلم الصحافي الى رؤية الأديب وينهل من معينها ويتكأ على أدواتها.

خاضت مقالة فخري قعوار في كل الموضوعات التي تتصل بحياة الناس، لكن فخري لم يعن نفسه كثيرا بكتابة المقالة الأدبية الإنشائية التي تستهدف نقل تجربة شعورية خاصة لدى كاتبها ولا ترتبط بالضرورة بوجهة نظر محددة حول شأن من شؤون المجتمع، وهذا أمر طبيعي بمعطيات المرحلة التي نعيش، فلقد ولت أيام المقالة «الأدبية» التي كتبها المازني أو مي زيادة وهذا يعني عند المقالي المحترف المعاصر ربط الموضوع بالشأن الجاري إذ لم يعد يهم القارىء المعاصر طويلا تأملات كاتب المقالة وهو ينظر إلى أطلال البتراء ثم يروح يحدثنا عن العظة والدرس من الأيام الغاربة، بل ما يهم قارىء اليوم حركة السياحة إلى البتراء ومردودها على اقتصاده الوطني. تكمن قدرة فخري في المعالجة المقالية في رؤيته الأدبية وهي رؤية إنسانية على الدوام قادرة على الارتقاء بالحالة إلى مستوى الظاهرة، وبالمسألة إلى مستوى القضية.

لا يعني التخيل عند المقالي الجيد بل والأديب بصورة عامة الرجم بالغيب أو التوهم فالخيال شيء والوهم شيء آخر. إن الخيال طاقة إبداعية خلاقة قادرة على إيجاد العلاقة بين عناصرلا يجمع بينها سوى إبداع الكاتب، ودون ذلك لا رابط بينها، وإلا كيف يرى «الفتى القروي» عمان وهي تشيخ ؟ وكيف يكتشف التجاعيد التي تملأ وجهها ؟وكيف يعاين الأسى المطل من عينيها ؟ ألا يحتاج هذا إلى طاقة تخييلية تجعل من الوهم حقيقة بأداة الخيال حين ندرك الدلالة الواقعية لأحد وجوه عمان ؟

ولطالما تحدث العديد من الكتاب والنقاد حول النزوع إلى السخرية في أسلوب فخري بحيث عدها كثيرون في مستوى الظاهرة في جميع كتاباته الفنية والمقالية والسخرية وليست وصفا لموقف بقصد التظرف والفكاهة بل إنها بنية تقوم على شكل من أشكال المفارقة الفنية، ومرة أخرى نجدنا نتحدث عن «الأدبية» في «الكتابة الوظيفية».

إن الخطاب المقالي لقعوار القائم على وعي إنساني واجتماعي يقوم بعمليةارتياد جمالي لمناطق في الوجدان لا يقوى على اقتيادنا إليها التعبير المباشر أو الأسلوب التقريري الذي لم يكن له حضور قوي في كل ما قدمه قعوار من نتاج فني، وفي معظم ما كتبه من نتاج مقالي، وتبقى السخرية فيما يكتب فخري طاقة حيوية تجعل النص قابلا لأن يقرأ كله مما يهيىء لرسالة النص فرصة أفضل للوصول إلى هدفها وإحداث تأثيرها.

ولئن كانت السخرية ظاهرة مشتركة في كل ما يكتب فخري فإن ثمة ظاهرة أخرى في كتاباته تستحق وقفة أطول مما سلف، وهي قابلية انفتاح نتاجه بين الأشكال الفنية المتعددة.إن «عنبر الطرشان» جهد ينتمي إلى القصة بمفهومها العام الذي يشمل الرواية، لكن هذا الجهد ينفتح بالعديد من أبوابه نحو المقالة سواء كان من باب المضمون الاجتماعي أم من حيث صيغة الخطاب التي تولي اهتمامها بالمتلقين وتضع كل فئاتهم في حسابها، و«العنبر» ينفتح بشكل ما على القصة القصيرة من خلال تلك المواقف الدائرية التي يمكن أن يحمل كل رقم فيها إشكالية إنسانية قائمة بذاتها. أما «شجرة الورد» فإنه جهد يحمل بصمات القصة القصيرة في العديد من أقسامه، ولا بأس في أن نقلب المعادلة فنقول: المقالة القصصية، وهو اللون الذي بشر به عبدالعزيز البشري قبل نحو مائة عام إلى أن أخذ ناصية القول فيه عبقري المقالة العربية في العصر الحديث إبراهيم المازني، وتحضر في هذا السياق مقالة فخري «عمان... حلم الفتى القروي». إنها مقالة تستكمل كل شروط النوع، وهي قصة تكاد تستكمل كل شروط النوع كذلك. إنها باختصارعمل فريد في المستوى المحلي على الأقل في القصة والمقالة القصة، وهي بكلمة موجزة تستحضر ظاهرة التماهي بين القصصي والمقالي في العديد من أعمال فخري، وهي المعادلة الأشد بروزا والأشد تعبيرا عن معظم ما كتبه فخري خارج إطارالقصة القصيرة الخالصة. نزوع إلى الدراما في المقالة ونزوع إلى واقعية

فخري قعوار

السخرية مكون مهم في هذا العنصر أضف إلى ذلك قدرة صاحبنا في «المماطلة السردية» التي نقلها بحرفية عالية من الخطاب القصصي إلى الخطاب المقالي.

قعوار: ليالي الأنس في القاهرة

يروي فخري قعوار بالكثير من التفصيل ملامح من تجربته الحياتية والإبداعية في كتابه «ليالي الأنس» الصادر عن أمانة عمان 1990 ويتذكر من خلالها طفولته وصعوبات الحياة في مدينة المفرق مسقط رأسه، وبدايات تفتح موهبته، ومقاله الأول، وروايته الأولى ودراسته وكتبه، ومما جاء في هذه الذكريات:

في أواخر عام 1964 أنهيت الدراسة الثانوية، وذهبت إلى القاهرة للدراسة في الجامعة، كنت أريد الحصول على مقعد في كلية الآداب لدراسة اللغة العربية وآدابها فلم أفز بما أردت، وحصلت على مقعد في كلية الحقوق بجامعة عين شمس. لم أذهب إلى الجامعة سوى بضع مرات، ولم أدرس مثل سائر الطلبة وقدمت الامتحان النهائي للسنة الأولى فكانت النتيجة أنني لم أنجح وكنت أعرف أنني لن أفلح في دراسة لا أرغب فيها، ومع ذلك لم أفكر جديا بالعودة إلى الأردن بسبب إغراءات الحياة في القاهرة التي لم تكن لدي طاقة لمقاومتها وعلى رأس هذه الإغراءات الأجواء الثقافية الرحبة، خاصة أن هذه الأجواء كانت في عصرها الذهبي في أواسط الستينيات: مسرح، سينما، ندوات، محاضرات، لقاءات أدبية وفنية في المقاهي الشعبية، موالد، مغامرات عاطفية ودراسية، جولات متصلة عند سورالأزبكية الشهير بمعروضاته من الكتب الرخيصة المستعملة، واستكشاف عوالم نجيب محفوظ في سيدنا الحسين والسيدةزينب والغورية، وباب اللوق، وخان الخليلي، والعتبة، والدرب الأحمر وغيرها، وقد أمضيت عامين في القاهرة راسلت خلالها صحيفة عمان المساء الأسبوعيةومجلة الأفق الجديد.

كانت الحياة في مصر رحلة غنية أضافت إلى معرفتي وثقافتي الكثير وساعد في تعميق ذلك العمل في التدريس والمشاركة الفعلية مع المقاومة الفلسطينية قبل عام 1970، فقد عملت في عام 1967 مدرسا للغة العربية في مدرسة الروم الكاثوليك للبنين في الزرقاء وعملت في المدرسة الوطنية الأرثوذوكسية، وكذلك في الكلية الوطنية البطريركية التابعة لطائفة اللاتين في المصدار بعمان، ولقد استمر عملي في التدريس حتى عام 1980 عندما تفرغت للعمل في الصحافة.

أما بشأن تعريفه للقصة فيقول قعوار:

قد تكون القصة القصيرة من أصعب الفنون الأدبية وأكثرها تمردا وخروجا على اي تعريف من الممكن أن نضعه لها، فنحن نعرف الشعر أو بالأصح كنا نعرفه بأنه ذلك الكلام الجميل الموزون المقفى الذي يخدم فكرة اجتماعية وكان أجدادنا الجاهليون يعرفون الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى دون أن يشترطوا خدمة فكرة اجتماعية...، فلو بدأنا بمحاولة لتحديد القصة القصيرة أو عدد كلماتها لوجدنا قصصا قصيرة يبلغ طولها عشرات الصفحات، ولوجدنا أيضا قصصا قصيرة لا يزيد عدد كلماتها على خمسين كلمة، ونحن نستطيع أن نجد نماذج كثيرة جدا على القصة القصيرة ذات الصفحات العديدة في أدب ارنست همنغواي ومكسيم غوركي ويوسف ادريس كما اننا نستطيع أن نجد نماذج كثيرة للقصة القصيرة جدا عند أنطون تشيخوف ويوسف الشاروني، وهذا التفاوت في المساحة موجود في الأدب المحلي أيضا.... للكاتب ثلاث أدوات رئيسية كي يكتب قصة قصيرة فهو يحتاج إلى الموهبة أولا وهو يحتاج إلى الثقافة ثانيا وهو يحتاج إلى التمكن من وسيلة التعبير ثالثا فالموهبة شرط ضروري وأساسي للكاتب إلا انها لا تعني شيئا بدون الثقافة، والثقافة هنا تعني التعرف على التراث الأدبي العربي والاطلاع على تراث العالم الأدبي والفكري والالمام بتطور حركة المجتمعات البشرية وسير حركة التاريخ من خلال الاطلاع الدائم الممكن على نتاج الفكر الإنساني في مختلف الحقول والمجالات يزاد على هذا متابعة تطور الفن القصصي نفسه قديمه وحديثه على الصعيدين العربي والاسلامي وعلى الصعيد العالمي، أقول لا بد للكاتب من الثقافة لأن حصيلة ثقافته هي التي تؤهله لأن يكون ضمير شعبه. ألا نقول بعد هذا كله أن المبدعين والمفكرين هم القادرون على قيادة المجتمع وتوجيهه وجهة تساير ركب التطور والتقدم في العالم؟.

شاهد في

تقاويم قانا وقيامتها!

خيري منصور *

■ لم تكن العشرة اعوام العجاف التي تفصل بين قانتين، مبشرة بزمن غير هذا الذي جفت تقاويمه وتحنط فيه القاموس المحيط، بحيث لم يخطر ببال فقهاء السلام ان الدم القاني ينتسب الى قانا، الجليلية التي مهرت تضاريس الشام بتوقيع رسولي، والتي تحولت الى اسم حركي لجغرافيا زلزالية ملغومة ببراكين لا تحرزها الحواسيب الغبية، ولا تبلغ عمقها القنابل التي زاوجت على نحو كوميدي بين الذكاء التكنولوجي والحماقة السياسية.

ولم تكن قانا الهولوكوست العربي الاخير اذا صح لنا بعد الان ان نطوب المأساة كلها لدم محروم من الوداع الذي يليق به، سواء كان دم زينب الحفيدة او دم فاطمة المسفوح على حقول التبغ، فالحرب التي اندلعت واخرجت المردة من القماقم ليست على حزب الله. او على لبنان او فلسطين فقط، انها حرب على الله ما دام الهدف الاخير لها هو ابادة الاطفال والشجر وتحويل الهواء الى كثافة من الاكاسيد في هذا الفضاء المحتل!

هي حرب على الله لانها تدمر وتنتهك مخلوقاته البريئة، وما سماه زينة الحياة، لهذا فهي حرب خاسرة حتى لو تحول الشيطان فيها الى جنرال ضليع في فقه الاحتلال وما كان احتلالا للتو اصبح الان استحلالا بالمعنى الديني والتاريخي والاخلاقي، لان حربا بلا اية روادع، وبهذا الهيجان الاعمى، هي انتحار بمقياس آخر لا يدركه من يتعامل معه عميان اسبارطة الجدد، فالعالم الان يعيد النظر بكل ما قال ومارس ازاء هذه الظاهرة الصهيونية المضادة للتاريخ والتي تحولت الى خرافة تحف بها دبابة على اليمين وجرافة على اليسار.

لكن المقاومة التي استعصت على مدار الازمنة كلها على التدجين، لها موعد مع القيامة خصوصا حين يفيض الموت عن مساحة الحياة ويصبح التراب مثقلا بهذه الحمولة من الدم!

***

ان الكتابة في هذه الدرجة من الموت تعود الى صفرها الاول، والى جذر الجدل الابدي بين الدودة والتفاحة وبين حقل الحنطة وسحابة الغربان، لهذا فالاصابع التي تكتب وهي مشدودة كالاوتار تبدو كما لو انها تتحسس زنادا غائبا، وتعتريها قشعريرة تسري في النخاع، لان نخاعا مثله يقطر من مخالب الجناة الذين يحاولون عبثا ازاحة الجبل من موضعه، ولا يفهمون ان السفح للصعود مثلما هو للهبوط، وان الظهيرة حين تتحول الى مقطع اسود من موسيقى تعزفها اصابع مبتورة تجترح شمسها في آفاق لا تبصرها العيون الكليلة التي يملأها الصديد.

وكم كان سهلا علينا وعلى سوانا ان نبحث في الارشيف عما كتبناه قبل عشرة اعوام من الدم الجليلي الاخضر، لكن للقيامات تقاويم اخرى، لا ترتهن للنشر ومواعيده ولا للكتابة في بعدها الموسمي حتى لو كانت استوائية، ينزف الدم لا الماء من غيومها المثقلة بالزفير والاستغاثات التي لا تعثر على المرسل اليه!

***

من عناقيد الغضب الى عناقيد القصب التي انفرطت نايات على تخوم مقبرة جماعية زمن لم يعرف الربيع الا لماما وعلى لوحات الرسامين او في اجنحة الفراش المحترق، ومن سطوا على جون شتاينبك يمارسون السطو على عناوين اخرى لروايات ابطالها تائهون في البراري ويبحثون عن مؤلف يليق بما يكابدون، والغضب ينضج ايضا كالعنب، ويملأ الجرار في جنوب اصبح في لحظة الاشتباك الكبرى الجهات كلها، فالشمس تشرق من سفوحه وتغرب في قيعانه، ويتكثف فيه رهان خذلته من قبل كل الافراس، خصوصا تلك الاشبه بالبغال، والتي كانت تزهو بأن الحصان خالها.. بحثا عن نسب يحررها من تهمة النكوص والافراط في الكبوات لانها عرجاء، كتلك البغلة التي كان يطاف بها وهي تحمل حاكما عربيا مسمول العينين، وقد اخترق الخازوق رأسه!

ان امثولة الخليفة الذي حاول ان يتقي المغول بما كدس من ذهب مسروق ابا عن جد لافتداء نفسه وابنائه مكثت في التاريخ والذاكرة القومية كالوشم، وسواها من روايات التنابلة والملعوفين بالثريد حتى التخمة والبطالة تحولت الى زبد!

وقد يستطيع العربي الراهن زمنيا والمرتهن سياسيا بما تبقى له من خيال ان يتقمص ذلك المؤرخ القادم من المستقبل، كي يتذوق ولو قليلا من مرارة المداد الذي يكتب به فقد يصبح كل ما رواه ابن الاثير وابن اياس والجبرتي مجرد كلاسيكيات في رصد الشقاء والجهالة والفرار ولم تكن قانا بحاجة الى ان تشيد مئذنة من جماجم ستين ضحية معظمهم من الاطفال كي يندفع التاريخ الى اقصى توحشه وينشطر كالبيضة الافلاطونية المسلوقة الى نصفين، والى ما قبل وما بعد!

وقد يخفي العربي الان عاره الشخصي كما لو كان يتستر على عورة، لانه يستشعر الاغتصاب في عمق ذكورته ان كان ذكرا وفي عمق انوثتها ان كان انثى فهذا وقت لم يتنبأ به حتى من استلهموا الغراب، لأن الذكورة فيه تحيض، وما الطمث السياسي والثقافي الذي يبقع سراويل من اطلقوا سيقانهم للريح والغبار خارج التاريخ، ومحاولة للافلات من جاذبيته التي لا ترحم ولا تبرىء من لم يقرأ نيوتن وارخميدس اللذين حولا التاريخ وهما لا يعرفان الى فيزياء اخرى!

***

ما يستشعره العربي الاعزل حتى من لسانه الان، وفاقد اضعف الايمان ازاء ما يجري حوله وله.. ولذريته القادمة اذا قيض لها القدوم، هو ما احس به ذلك الشخص الذي سمي النذل الثالث وفق تراتبية الانذال في الحكاية المسكوت عنها تواطؤا.

فهو لم يشارك في تحطيم تلك العجوز التي سارع الى كسر ظهرها صاحباه، اللذان كان كل منهما يزهو بانه الانذل والارذل بين الكائنات.. لكنه حين اعترف بان تلك العجوز كانت امه احس صاحباه بانه الانذل منهما.

ومن يجري تحطيم عمودها الفقري الان بحيث تتحول الى سلحفاة تحمل بيتها على ظهرها ليست مدنا فقط، بل هي منظومات فكرية وتاريخية، وقيم، تتشكل منها البنية الفوقية التي لا يأتي ذكرها في قائمة الخسائر، والتدمير، لان العقل كله منصرف الى الكهرباء والماء والرغيف اي الى البنية التحتية التي ما كان لها ان تحطم وتتحول الى اطلال لولا ان البنية الاعلى منها قد تهرأت، وتداعت وبلغ السوس فيها السرير والتابوت والصولجان. ولم ينج غير المهد لهذا فالقتل الان يتجه الى الاصغر سنا والاقل تأهيلا وكفاءة في التأقلم مع هذا الانحطاط وهذه الانكسارات المتعاقبة التي اصابت الانسان بالشلل، بحيث يبدو قادرا على التحمل، وحقيقة الامر انه لا يشعر بالعصا التي تجلده ولا بالسكين الذي يتوغل في لحمه حتى العظم.

***

هذه لحظة تلتبس على من اصابهم العمى السياسي، فهي غسق بقدر ما هي شفق، ورغم ان البومة الهيغلية تنعب في الافاق كلها الا ان هناك تباشير قيامة، وثمة عصافير صغيرة تتدرب على الطيران فوق قطيع من البغال الميتة!

والكتابة التي لا تبلغ رشدها في عز هذا الموت، وفي ذروة هذا الاشتباك بين الفراشة والطائرة وبين السنبلة والغراب، هي افساد لبراءة البياض على الورق، وتعكير للصمت!

واذا كان من صلب رسالتها تمجيد الحياة وهي على تخوم الابادة، فان من واجبها ايضا تمجيد الموت وهو على تخوم القيامة ليس لان الموت مطلب انساني او قومي بل لان الحياة اعز من ان يفرط بها، ومن اعظم مفارقاتها ان الموت احيانا يلقح حتى العاقر من شجرها وبشرها!

ان من اجلوا صرختهم بانتظار بلوغ السيل الزبى، ها هو الطوفان يجرفهم من شروشهم الذابلة، فهذا النهر الذي اندلع من منبعه ذات اجتياح غاشم ليس بحاجة الى دليل يقتاده الى المصب!

ولا ندري كم من الموت يكفي لاكتمال نصاب القيامة! وكم من الاخضاع يكفي لحرف الطبيعة البشرية عن سويتها بحيث تتورط بماسوشية مزمنة تستمرىء معها العذاب وتستعذبه، وحين يفيض الدم ويرشح من الشاشات ويبقع اوراقنا وشراشف اسرتنا فان ادارة الظهر تصبح ذات دلالة واحدة، وهذا امر طالما حامت حوله ثقافة ذكورية، ويعسوبية قدرها الانتحار الجنسي وليس افراز العسل.

فطوبى للغة قلبت العسل لسعا وسمت الملدوغ سليماً، لان هذا الوقت الرمادي بحاجة الى معاجم اخرى وفقه نحوي اخر يعيد للفاعل رفعه بعد ان نصب وجر كبعير تماوت مرارا حتى مات!

قانا اذن اسم حركي لكل ما يقع ضمن موروثها التراجيدي.. والدم القاني هو ما نسب اليها والنحاة آخر من يعلمون!

* شاعر وكاتب من الاردن

تأجيل المهرجان الدولي للشعر في القاهرة وطرح الشعر اللبناني كضيف شرف:

غياب الامين العام وراء التأجيل وحشد شعبي وثقافي وراء دعم الشعر اللبناني ووزير الثقافة يلغي كافة المظاهر الاحتفالية

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من محمود قرني:

يعتزم الشاعر حسن طلب تقديم مقترح الى لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للثقافة في اجتماعها القادم، حول تخصيص الجانب الاكبر من مؤتمر الشعر العالمي الذي تعقده اللجنة للشعر اللبناني، في اطار المؤازرة والتعضيد اللذين بديا من المثقفين المصريين للموقف اللبناني في الحرب التدميرية التي تشنها الصهيونية على بنيته التحتية ومقدرات ابنائه.

وكانت اللجنة قد عقدت اجتماعا موسعا انتهى في ساعة متأخرة من مساء الاربعاء الماضي، اتخذت فيه قرارا يقضي بتأجيل المهرجان الى شهر شباط (فبراير) من العام القادم، حيث كان مقررا له ان تنطلق فعالياته في الفترة من الخامس الى السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الجاري.

وقد بدأت على الفور ادارة المهرجان في ارسال خطابات بالتأجيل الى جميع الضيوف الذين وصلتهم الدعوة لافادتهم بتأجل المهرجان الى الموعد الجديد.

وقد عزى الشاعر حسن طلب تأجيل المهرجان لمدة تتجاوز الثلاثة اشهر الى غياب الدكتور جابر عصفور الامين العام للمجلس الاعلى للثقافة عن المجلس طيلة شهري تشرين الاول (اكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) القادمين، حيث تقرر اجراء جراحة دقيقة له في تلك الفترة بعد عدة توعكات صحية ألمت به طيلة الشهور الماضية.

وقد عبر معظم اعضاء اللجنة عن اسفهم لتأجيل الفعاليات لكنهم اجمعوا على صعوبة هذا الانعقاد في ظل غياب الامين العام، وهو ما دفعهم الى الموافقة شبه المطلقة على التأجيل.

وكان مقررا للمهرجان ان ينعقد على المستوى الدولي كل عامين على ما جرى العمل به مع المؤتمر الدولي للرواية، بعد ان طلب اديب نوبل نجيب محفوظ في كلمة في دورة المهرجان الماضية ان ينال الشعر نفس الحظ الممنوح للرواية على المستوى الرسمي.

وقد اختارت اللجنة المنظمة عنوان «الشعر في حياتنا» كعنوان للمهرجان، كما كان مقررا له ان يشتمل على خمسة محاور هي: الشعر حاجة انسانية متجددة، التنوع الابداعي والتعددية الثقافية، الشعر والهوية، الشعر في عصر العولمة، واخيرا الشعر والجمهور.

ومن المنتظر ـ في حال اقرار مقترحات الشاعر حسن طلب ـ ان يطرأ تغيير واسع على محاور المهرجان، اذا ما انتهى الى استضافة الشعر اللبناني.

واظن انه من الملائم بل ومن الضروري ان تكون هذه الخطوة على رأس اولويات لجنة الشعر في الفترة القادمة، فهذه هي الهدية التي يمكن للبنان ان يتقبلها من المثقفين المصريين بعد الموقف المخزي الذي اعلنته الدولة في مصر من المقاومة اللبنانية ومن نضالات الشعب اللبناني.

والشعر في لبنان لا يستحق التكريم فقط عطفا على معركته غير المتكافئة، بل هو يستحق ذلك بجدارة شعرائه وما قدموه للشعر العربي طيلة تاريخه الحديث على الاقل.

فلبنان واحد من الدول العربية الاهم والاكثر تأثيرا في صياغة العقل العربي، وكذلك عبر خطوط ومستويات عدة للانتاج الثقافي والمعرفي وكذلك الفعالية الثقافية على كل مستويات الفنون والافكار.

والشعر اللبناني لم يكن الا صدى لهذا الدور المتقدم في كل مستوياته، ليس فقط لمن ولدوا على الارض اللبنانية ولكن لكل وافد اليها عابرا او مقيما، حيث كانت، بمناخات حريتها التى تفتقدها معظم العواصم العربية، بستانا لكل الزهور من كافة التيارات.

واظن ان الدكتور جابر عصفور الامين العام للمجلس الاعلى للثقافة، والشاعر احمد عبد المعطي حجازي مقرر لجنة الشعر لن يتخليا عن طرح هذا المشروع على المؤتمر، ليكون لبنان ضيف شرف المهرجان.

وهو صاحب استحقاق في كل الحالات. من ناحية اخرى الغت وزارة الثقافة مهرجان كورال الموسيقي العربي الذي ينعقد سنويا بمدينة الاسكندرية كذلك الغت الوزارة مهرجان «اصالة» للفنون والثقافة والذي كان مقررا عقده منتصف ايلول (سبتمبر) المقبل بمدينة العريش ويترأسه الناقد دسوقي سعيد.

في الوقت نفسه اصدر وزير الثقافة قرارا بوقف جميع الانشطة الاحتفالية التي يقيمها صندوق التنمية الثقافية.